اليمن في شعر امرئ القيس

علوي أحمد الملجمي
قسم اللغة العربية، جامعة البيضاء، اليمن
a.almalgami@yahoo.com

الملخص

يهدف هذا المقال إلى بيان مدى اتصال امرئ يقيس باليمن من خلال شعره، هل كان لليمن حضور بارز في شعره؟ وما أبرز مظاهر ذلك الحضور. امرؤ القيس يمني كندي، هاجر أجداده إلى شمال الجزيرة، وأسسوا مملكتهم هناك، لكنه ظل مرتبطًا بأصوله؛ فزار اليمن أكثر من مرة، وحضر اليمن في شعره إنسانًا ومكانًا وأشياء. وكان اليمنيون يعرفونه ويحفظون شعره قبل الإسلام. يؤكد امرؤ القيس على يمنيته هذه في شعره، فقد تغنى بملوك حِمْيَر، وحِمْيَر ذاتها، وتغنى ببطون كهلان وقبائل اليمن وأعرابها، وذكر مرابع آبائه ومراتع صباه في حضرموت في سياق الشوق والحنين، وذكر وديانًا وحصونًا ومدنًا ومخاليفَ يمنيةً قديمةً. ويمتد هذا الحضور اليمني في شعره إلى الأشياء اليمنية، أو المنسوبة إلى اليمن، فيذكر عددًا منها.

الكلمات المفتاحية: امرؤ القيس، الشعر، اليمن.

Yemen in the Poetry of Imru' al-Qais

Abstract

This article aims to show the extent of Imru' al-Qais connection to Yemen through his poetry. Did Yemen have a prominent presence in his poetry? What is the most prominent manifestation of that presence? Imru' al-Qais is a Yemeni from the tribe of kinda. His ancestors migrated to the north of the Arab Peninsula and established their kingdom there, but he remained connected to his origins. He visited Yemen more than once. Yemen was present in his poetry as a person, a place, and things. The Yemenis knew him and memorized his poetry before Islam. Imru' al-Qais emphasized his Yemeniness in his poetry. He praised the kings of Himyar, Himyar itself, people of Kahlan and the tribes of Yemen and its Bedouins. He mentioned the lands of his fathers and the places of his youth in Hadhramaut in the context of longing and nostalgia. He also mentioned ancient Yemeni valleys, fortresses, cities, and zones. This Yemeni presence in his poetry extended to Yemeni things, or those attributed to Yemen mentioning a number of them.

***Keywords**: Imru' al-Qais, poetry, Yemen.*

.

مقدمة:

يرجع امرؤ القيس إلى قبيلة كندة اليمنية، ولكنه ولد وعاش في شمال الجزيرة العربية مع قبيلته التي هاجرت إلى هناك، فكان أبوه ملكًا على قبائل تلك البلاد. وبالرغم من ولادته في شمال الجزيرة وحياته هناك فإنه يمني النسب، وذكر التاريخ أنه زار مرابع أجداده في حضرموت اليمن في شبابه، وأنه زار بعض مناطق اليمن بعد مقتل والده. ومن هنا فإنه من المفترض أن تكون اليمن حاضرة في شعره بأرضها وإنسانها وأشيائها.

دفعني إلى البحث في هذا الموضوع إنكار بعضهم وجود أي شيء في شعر امرئ القيس يدل على يمنيته، يقول طه حسين: «وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقًا في شعر امرئ القيس لفظًا أو أسلوبًا أو نحوًا من أنحاء القول يدل على أنه يمني، فمهما يكن امرؤ القيس قد تأثر بلغة عدنان فكيف نستطيع أن نتصور أن لغته قد مُحيت من نفسه محوًا تامًا ولم يظهر لها أثر في شعره؛ نظن أن أنصار القديم سيجدون كثيراً من المشقة والعناء ليحلوا هذه المشكلة». (حسين، 1993، 212-213) فهذا المقال يهدف إلى إثبات أن اليمن بقيت حيةً في قلب امرئ القيس، فزارها، ومكث بها، وبقيت حية في شعره. وأما استناد طه حسين على مسألة اللغة وارتكازه على الادعاء بأن لغة اليمن قبل الإسلام لم تكن عربية، وكأنه يقول: "رفيقك قيسي وأنت يماني"، فعنده إن "اللغة العربية عدنانية والشاعر يماني"، فكيف يجتمعان؟ والجواب على هذا من وجهين: الأول: القول إن لغة اليمن قبل الإسلام لم تكن عربية ادعاء تدحضه كل الأدلة التاريخية والدراسات الفيلولوجية. ليس هذا مكان التفصيل فيه. الآخر: إن هناك خلطًا في التفريق بين اللغة الأدبية (لغة المثقفين والأدباء) واللهجات؛ فكل قبيلة أو مجموعة من القبائل لديهم لهجة، ولكن شعراءها وأدباءها إذا أرادوا الكتابة أو الخطابة قالوا باللغة الفصيحة (اللغة العالية: لغة الفكر والأدب). فلم تكن الفصحى في يوم من الأيام لغة قريش -كما يدعي طه حسين- أو غيرها من قبائل العرب، بل هي لغة فوق الجميع، وربما كانت بعض القبائل أقرب إليها من بعضها الأخرى. وهذا ما تقرره الدراسات اللغوية إذا أثبتت الدراسات أنه في كل عصر وفي كل مجتمع لغوي يوجد مستويان من اللغة: المستوى الأول: المستوى المعياري الفصيح، يكون لغة الفكر والأدب والكتابة الرسمية. المستوى الثاني: المستوى غير المعياري أو المستوى اللهجي، وهو لغة الشارع أو لغة الحياة اليومية. وهذا المستوى لا يخضع لقواعد المستوى الأول؛ لذلك تتعدد اللهجات، فيختلف الناس في بعض اللغة صوتاً وتركيباً ودلالةً. ومن هنا، فإن الإشكالية التي يناقشها هذا المقال تتمثل في أنه إذا كان امرئ القيس يمنيا، لكنه ولد وعاش في أرض أخرى، فهل لليمن التي يرجع أصله إليها وجود في شعره، ويحاول المقال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

هل تواجد امرؤ القيس في اليمن في أي فترة من فترات حياته، وكيف كانت علاقته بها وبأهلها وملوكها، هل عرف اليمنيون شعر امرئ القيس قبل الإسلام؟ إلى أي حدٍ كان اليمن (إنسانًا ومكانًا ولغةً) موجودًا في شعره؟ أي أن ما نبحث عنه هنا هو حضور اليمن في شعره، وإلى أي حد كان حاضرًا، وكيف تَمَثَّل هذا الحضور؟

يفترض المقال أنه لم يقطع صلته بأهله وأرض جدوده، وأن رحلاته التي ذكرها المؤرخون إلى اليمن دليل على ذلك، وأن اليمنيين كانوا يعرفون امرئ القيس ويحفظون شعره قبل الإسلام، وأن اليمن حاضرة في شعره أرضا وإنسانا وأشياء.

الدراسات عن شعر امرئ القيس كثيرة، لكن لم يتعرض أي منها لهذا الجانب في شعره وربط ذلك بعلاقته باليمن ورحلاته إليها أو إقامته فيها؛ فلا توجد دراسة استقصت حضور اليمن في شعر امرئ القيس، وهذا ما تروم هذه الدراسة القيام به.

يتطرق البحث إلى:

1) حياة امرئ القيس في اليمن من خلال المصادر التي ذكرت وجوده فيها في فترة من فترات حياته أو رحلته إليها.
2) معرفة اليمنيين قبل الإسلام بامرئ القيس وشعره
3) اليمن في شعره من خلال:

أ) أسماء وألقاب الملوك والقبائل والشخصيات.

ب) الأماكن.

ج) الأشياء اليمنية، أي: التي تخص اليمن وتنسب إليها.

نسبه ومكانته الشعرية:

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، كنيته أبو وهب، أو أبو الحارث. قيل: إن اسمه جندح وإن امرأ القيس لقب غلب عليه، ومعناه رجل الشدة، لقب به لِمَا لقي من الشدائد. ولد امرؤ القيس في أوائل القرن السادس للميلاد في نجد. كان امرؤ القيس ذكيًّا متوقّد الفهم، فلما ترعرع أخذ يقول الشعر، فبرَّزَ فيه إلى أن تقدَّم على سائر شعراء وقته بالإجماع. وكانت وفاته نحو سنة 565م، ودفن في أنقرة من بلاد الترك. (الزوزني، 2002، 15)

ويُعد من فحول شعراء الجاهلية، فهو من المقدمين بين ذوي الطبقة الأولى، وفي شعره رقة اللفظ وجودة السبك وبلاغة المعاني، سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، مثل: وقوفه واستيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ وجودة التشبيه وتفننه فيه، ودقة الوصف، وبراعته فيه، وما في وصفه من حياة وحركة، وفي شعره من رمز وتلميح، ومن موافقة الألفاظ للمعاني. (الزوزني، 2002، 32)

امرؤ القيس في اليمن:

تذكر كتب التراث رحلتين لامرئ القيس إلى اليمن:

الرحلة الأولى: قبل مقتل أبيه، أي في ريعان شبابه. ويذكر الرواة أن حجرًا -والد امرئ القيس- طرده بسبب قوله الشعر

والغزل، «وكانت الملوك تأنَفُ من الشعر، فلحق امرؤ القيس بدَمُّون من أرض اليمن، فلم يزل بها حتى قتل أبوه، قتله بنو أسِدَ بن خزيمة، فجاءه الأَعور العجلي فأخبره بقتل أبيه، فَقَالَ امرؤ القيس:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ ** دَمُّونُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ ** وَإِننا لِقَوْمِنَا مُحِبُّونْ

ثم قَالَ: ضَيَّعَنِي صغيراً، وحَمَّلَنِي دَمَه كبيراً، لَا صَحْوَ اليوم، ولَا شُرْبَ غدا، اليوم خَمْرٌ وغَداً أمر، فذهب قوله مثلاً... ثم شرب سبعة أيام، ثم قَالَ:

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَع ** حَدِيثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي وَأَنْعَمَا

وَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بَعِيدٍ مَآبُهُ ** تَبَيَّنْ وبَيِّنْ لِي الحَدِيثَ المُعَجَّمَا

فَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وَكَاهِلٌ ** أَبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فأَصْبَحَ مُسْلَما». (الميداني، د:ت، 2/ 417)

وذكر الهمداني عند ذكره لمدينة "عندل" الحضرمية أن امرأ القيس زار هذه المواضع، وكان يشتاق إليها، ويذكرها في شعره، قال: «ثم عندل مدينة عظيمة للصَّدف، وكان امرؤ القيس بن حجر قد زار الصَّدف إليها وفيها يقول:

كَأَنِّيَ لَمْ أَلْهُو بِدَمُّون مرَّةً ** ولمْ أَشْهَدْ الغَاراتِ يَومًا بَعَنْدَلِ

وعندل وخودون وهدون ودمُّون مدن للصدف بحضرموت». (الهمداني، 1884، 85)

فهذه هي الرحلة الأولى، وفيها أقام امرؤ القيس في مضارب أجداده من كندة قبل رحيلها شمالًا، وقام يلهو ويصطاد ويشرب الخمر، حتى جاءه خبر مقتل أبيه. والمصادر التي ذكرت هذه الرحلة كثيرة، لكن بعض الذين وقفوا على قوله: "تطاول الليل..." ذكروا أن "دمون" أرضًا باليمن أو بالشام. ويدفع كونها بالشام -إلى جانب المصادر التي أوردت رحلته إلى اليمن وجزمت بأن "دمون" بأرض حضرموت اليمن- أن امرأ القيس يذكرها في شعره مقرونة مع عندل -كما مر في البيت السابق- وعندل في حضرموت، ثم إن دمون ما زالت قائمة بحصونها ومعالمها الأثرية في حضرموت إلى اليوم، وهي قائمة باسمها تقع في مدخل وادي دوعن، ويقع في الجهة المقابلة لدمون جبل "صيلع"، الجبل الذي ذكره امرؤ القيس في خبر مقتل والده، فقد ذكرت كتب الأدب أن رجلا من بني عجل جاء إلى امرئ القيس وهو يلهو مع أقرانه ليخبره أن والده الملك قد قُتل، فقال حينها:

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَع ... حَدِيثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي وَأَنْعَمَا

واسمها يشبه أسماء الأماكن هناك، مثل: هدون، وخودون، وريبون، وغيرها.

الرحلة الأخرى: يذكرها المؤرخون في رحلات استنصاره للأخذ بثأر أبيه، فهذه الرحلة جاءت بعد مقتل أبيه، فعندما أغار مع بكر وتغلب على بني أسد، فأوقع فيهم القتل، هربوا، فعزم على مطاردتهم، فامتنعت بكر وتغلب عن مطاردتهم معه بحجة أنه قد شفى صدره وأخذ بثأره، عندها «خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزد شنوءة، فأبوا أن ينصروه، وقالوا: إخواننا وجيراننا، فنزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمدَّه على بني أسد، فأمدَّه بخمسمائة رجل من حمير. ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له: قرمل بن الحميم، وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف، وقال:

وإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيرِ رَبَّنَا ** وإِذْ نَحْنُ لا نُدعَى عَبِيدًا لِقَرْمِلِ

فأنفذ له ذلك الجيش». (الزوزني، 2002، 26 و27) (الأندلسي، د: ت، 250)

فهذه الرحلة رحلة طلب النصرة، وقد ذكرتها كتبُ التاريخ، وذكرها هو في شعره. وهذا الملك الحميري (القيل) مرثد الخير معروف في كتب الأنساب وكتب التاريخ.

- معرفة اليمنيين قبل الإسلام بامرئ القيس وشعره:

ورد في كتب التاريخ ما يفيد معرفة اليمنيين امرأ القيس وشعره قبل الإسلام، ومما ورد من ذلك ما أورد صاحب تاريخ بغداد - وأوردته مصادر أخرى كثيرة- عَنْ فَرْوَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُفَيْفِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَجَاءَ وَفْدٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَحْيَانَا اللَّهُ بِبَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ، قَالَ: "وَمَا ذَاكَ"؟ قَالُوا: أَقْبَلْنَا نُرِيدُكَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا أَخْطَأْنَا الْمَاءَ، فَمَكَثْنَا لا نَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَوْضِعِ طَلْحٍ وَسَمُرٍ، فَانْطَلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا إِلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ لِيَمُوتَ فِي ظِلِّهَا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي آخِرِ رَمَقٍ إِذَا رَاكِبٌ قَدْ أَقْبَلَ مُعْتَمٌّ، فَلَمَّا رَآهُ بَعْضُنَا تَمَثَّلَ:

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا ** وَأَنَّ الْبَيَاضَ فِي فَرَائِصِهَا دَامِي

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ ** يَفِيءُ عَلَيْنَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي

فَقَالَ الرَّاكِبُ: مَنْ يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ؟ فَقَالَ بَعْضُنَا: امْرُؤُ الْقَيْسِ. قَالَ: هَذَا وَاللَّهِ ضَارِجٌ أَمَامَكُمْ، وَقَدْ رَأَى مَا بِنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَرَجَعْنَا إِلَيْهَا فَإِذَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ ذِرَاعًا، فَإِذَا هِيَ كَمَا وَصَفَ امْرُؤُ الْقَيْسِ عَلَيْهَا الْعَرْمَضُ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ. (البغدادي، 2002، 3/ 649)

وهذا يدل على أن هؤلاء القوم كانوا يعرفون امرأ القيس ويحفظون شعره؛ فقد تمثل أحدهم بأبيات من شعر امرئ القيس، وعندما سألهم الراكب عن قائل الأبيات، أجابوه بقائلها.

اليمن في شعره:

انتماء امرئ القيس إلى اليمن نسبًا وأرضًا جعلت اليمن حاضرةً بقوة في شعره، فاليمن تحضر في شعره بإنسانها ومكانها

وأشـيائها ولغتها؛ فهو يذكر عددًا من الشـخصـيات والقبائل وألقاب الملوك، ويورد عددًا غير قليل من الأماكن في اليمن، وتحضر في شعره الأشياء اليمنية أو المنسوبة لليمن. ولو وقفنا وقفة متأنية عند لغة شـعره -خاصـة تلك التي توقف عندها اللغويون- لوجدناها في اللغة اليمنية القديمة، وما زالت حية حتى اليوم في أرياف اليمن، ومبحث اللغة هذا يحتاج إلى بحث مستقل يستوفي تفاصيله.

الألقاب والقبائل والشخصيات:

ذكر امرئ القيس لقب أقيال في أكثر من موضع يقول: (الكندي، د: ت، 34)

وَمَاذا عَلَيْهِ أن ذَكَرْتُ أوَانِساً ** كغِزْلانِ رَمْلٍ في مَحارِيبِ أقْيَالِ

والْأَقْيَال مُلُوك بِالْيمن دون الْملك الْأَعْظَم، واحدهم قيل يكون ملكًا على قومه ومخلافه ومحجره. (ابن سلاّم، 1964، 1/ 212)

وذكر اسم اليمن وشعوبها وقبائلها، من ذلك ذكره لإرم في قوله: (الكندي، 208)

أنّى عَلَيّ اسْتَتَبّ لَوْمُكُمَا ** وَلَمْ تَلُومَا حُجْراً وَلا عُصُمَا

كَلّا يَمِينُ الإلهِ يَجْمَعُنَا ** شَيءٌ وَأخْوَالَنَا بَني جُشَمَا

حَتى تَزُورَ الضِّبَاعُ مَلْحَمَةً ** كَأنّهَا مِنْ ثَمُودَ أوْ إرَمَا

وإرم هي: إرم ذات العماد ويقال إنها بتيه أبين من اليمن، وبهذا التّيه سكن إرم بن سام بن نوح، فسمّيت به. وإرم أيضا باليمن، بظاهر السّحول. (البكري، 1403هـ، 1/ 140)

وذكر حمير في أكثر من موضع، منها: (الكندي، 65)

وَلَوْ شَاءَ كانَ الغزْوُ من أرض حِميَرٍ ** وَلَكِنّهُ عَمْداً إلى الرّوم أنْفَرَا

وقوله: (الكندي، 111)

لَعَمْرُكَ ما إنْ ضَرّني وَسْطَ حِميَرٍ ** وَأقيَالِهَا إلّا المَخِيلَةُ وَالسُّكْرُ

وحِمْيَر ترجع إليه نصف اليمن، إذ اليمن إمَّا من حمير أو من كهلان، وهو: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام. (المعافري، 1347هـ، 91) وتولى المُلْكَ بعد أبيه مع أخيه كهلان. (الحميري، 1978، 12)

وذكر أعراب اليمن في قوله: (الكندي، 165)

وبَعْدَ أَبِي في حِصْنِ كِنْدَةَ سَيّدًا ** يَسُودُ جُموعًا مِنْ جُيُوشٍ وَبَرْبَرا

وَيَغْزوا بِأَعْرابِ اليَمَانِيينَ كُلِّهِمْ ** لَهُ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَحُلَّ المُشقّرا

ومن القبائل اليمنية التي ورد ذكرها في شعره: غسان، يقول: (الكندي، 56)

تمالك شوق بعدما كان أقصَرًا ** وحَلَّت سُلَيْمَى بطنَ قَوْ فَعَرْعَرًا

كِنانِيَّةٌ بانَتْ وفى الصَّدْرِ وُدُّها ** مجاورة غسَّانَ والحى يَعْمُرا

وغَسَّان من أكبر قبائل اليمن في شمال الجزيرة، نزلوا بماء يقال له غَسَّان، فنسبوا إليه، وهي بطون مشهورة. (ابن حزم، 1962، 462)

وذكرها وذكر مرادًا في قوله: (الكندي، 289)

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَسُولًا ** مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ إلى مُرَادِ

وغَسَّان الَّذِينَ هُمُ اثْلَأَبُّوا ** قَبَائِلَهُمْ بِأَطْرَافِ البِلادِ

ومراد أحد فروع مذحج، وتنسب إلى مراد (يحابر) بن مالك (مذحج) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. (ابن حزم، 1962، 405)

وذكر الأزد، خاصة أزد شنوءة في أكثر من موضع، منها قوله: (الكندي، 310)

أَبَعْدَ شَنُوءَةَ الأَبْطَالِ أَرْجُو ** لَيَانَ الْعَيْشِ أَوْ أَبْغِي احْتِيالا

فَإِن تَكُ دَارُ آلِ الْأَزْدِ زَالَتْ ** فكلُّ النَّاسِ يَنْتَظِرُ الزَّوَالَا

والأزد أحد فروع كهلان، وتنسب إليها كثير من القبائل المنتشرة في الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها، وهو الأَزْدِ بن الغَوْث بن نَبْت بن مَالِك بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. (الكلبي، 1988، 1/ 362) وكان الأزد في مأرب، ثم ارتحلوا عنها، ونزلوا بأماكن عدة، ويقسمها النسَّابون إلى قسمين كبيرين: أزد شنوءة، وأزد عمان. وأزد شنوءة أو أزد السراة، بإضافة أزد إلى السراة -وهو موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة منهم فعُرفت به- تنسب إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد. (السمعاني، 1962، 8/ 157)

ومن القبائل التي ذكرها في شعرها "السَّكُون"، يقول: (الكندي، 261)

فأين ربيعة عن رَبِّهِمْ ** وأين السكونُ، وأين الْخَوَل؟!

وهي قبائل من ولد السَّكُونَ بن أشْرس بن كِنْدَةَ بن عُفَيْر بن عَدِي بن الحَارِث بن مَرَّةَ بن أُدد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن كَهْلان بن سَبَأ. (الكلبي، 1988، 1/ 136) وما زالت أرضهم بحضرموت، وينتسب إليها عدد من قبائلها والبيوت المشهورة فيها، مثل: آل بن محفوظ، آل بن لادن، آل باقبص، آل باكرمان، آل باحشوان، آل بادغيش، وغيرهم.

ويأتي امرؤ القيس في شعره على ذكر بعض الشخصيات اليمنية القديمة المشهورة، فهو يذكر الملك ذا نواس" و"ذا خليل" وغيرهم من ملوك اليمن، يقول: (الكندي، 309)

أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ ** خَتُورُ الْعَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالَا

أَزَالَ مِنَ الْمَصَانِعِ ذَا نُوَاسٍ ** وَقَدْ مَلَكَ الحَزُونَةَ والرِّمَالَا

وأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا خَلِيلٍ ** وللزَّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الْحِبَالا

ذو نُواس: ملك من ملوك حمير، واسمه يوسف بن زرعة. (الحميري، 1999م 10/ 6797) والآخر هو ذو خليل بن شرحبيل بن الحارث: ملكٌ من ملوك حمير، وهو أحد الملوك المثامنة. (الحميري، 1999م 10/ 1678)

ومن الشخصيات التي جاء ذكرها في شعره: قرمل، ذكره في قوله: (الكندي، 70)

وَكُنّا أُنَاساً قبل غَزْوَةِ قَرْمَلٍ ** وَرِثْنا الغِنى وَالمَجْدَ أكْبَرَ أكْبَرَا

و"قرمل": أحد ملوك حمير.

ويصور امرؤ القيس شخصية التاجر اليمني في معلقته: (الكندي، 25)

وأَلْقَى بصَحْراءِ الغَبيطِ بَعاعَهُ ** نزُولَ اليماني ذي العُيابِ الْمحمّلِ

العياب: جمع عيبة، والعيبة: وعاء من جلد توضع فيه الثياب. «يقول: ألقى هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الأزهار، وألوان النبات، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين؛ شبه نزول هذا المطر بنزول التاجر، وشبه ضروب النبات الناشئة من هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع». (الزوزني، 2002، 77)

وهذا يدل على اشتهار اليمني بالتجارة في العصر القديم، ومما يؤكد ذلك أن عددًا من النقوش اليمنية أو المنسوبة لليمنيين التي وجدت في مصر والشام والعراق هي لتجار يمنيين أو تتحدث عن التجارة والقوافل التجارية اليمنية، ومن أهمها نقش التاجر اليمني المعيني الذي عثر على قبره في سقارة في مصر.

-الأماكن:

نتيجة لارتباط امرئ القيس بأرض آبائه في اليمن، ونتيجة لزياراته المتكررة لها؛ وردت عدد من الأماكن اليمنية في شعره، وبعضها ما زال قائمًا باسمه ورسمه إلى اليوم. ومن هذه الأماكن التي ذكرها: عبقر، يقول: (الكندي، 64)

كَأنّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُشِدُّهُ ** صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعَبقَرَا

و"عبقر" مكان أو وادي في اليمن، دارت حوله الأساطير، فقيل إنه واد تسكنه الجن، وقيل هو موضع مسكون وبلد مشهور به صيارف، وإذا كان فيه صيارف كان أحرى أن يكون فيه غير ذلك من الناس، ولعلّ هذا بلد كان قديمًا وخرب، كان ينسب إليه الوشي، فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجنّ. (الحموي، 1995م 4/ 79)

ومنها "ناعط"، وهو حصن بأرض همدان، يقول: (الكندي، 65)

هُوَ المُنْزِلُ الآلافَ من جَوّ ناعِطٍ ** بَني أسَدٍ حَزْناً من الأرضِ أوْعرَا

وناعط: حصن قديم في رأس جبل بناحية اليمن، كان لبعض الأذواء. قال وهب: قرأنا على حجر في قصر ناعط: بني هذا القصر سنة كانت مسيرتنا من مصر، قال وهب: فإذا ذلك أكثر من ألف وستمائة سنة. وقال أبو نواس يفتخر باليمن:

لست لدار عفت وغيّرها ** ضربان من نوئها وحاصبها

بل نحن أرباب ناعط ولنا ** صنعاء والمسك في محاربها

وهو قصر على جبلين باليمن لهمدان، ويقال إن الشمس إذا أشرقت يمتد ظله أربعة فراسخ. (الحموي، 1995م 5/ 253)

ومنها "الأحقاف"، قال: (الكندي، 102)

وَبَاتَ إلى أرْطَأةِ حِقْفٍ كَأنّهَا ** إذا ألْتَفَتهَا غَبيَةٌ بَيتُ مُعرِسِ

الأرطأة: شجرة. و"الحقف": ما اعوّج من الرمل، والجمع أحقاف، والأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشّحر من أرض اليمن. (الحموي، 1995م 1/ 11579)

وذكر مدينة "هَكِر"، وهي مدينة باليمن: (الكندي، 110)

هُمَا نَعجَتَانِ مِنْ نِعَاجِ تَبَالَةٍ ** لدى جُؤذَرَينِ أوْ كبعض دمى هَكِرْ

شبه امرأتين بنعجتين أو ببعض تصاوير أو تماثيل منطقة "هكر"، «وهو موضع باليمن كانت ملوك حمير تسكنه. قال أسعد تُبّع:

وما هَكِر من ديار الملوك ... بدار هوان ولا الأهجرُ». (الحميري، 1999م 10/ 6961)

وهي اليوم قرية أثرية تقع في ميفعة عنس في محافظة ذمار.

وقال عن قرية شوكان: (الكندي، 115)

أوَمَا تَرَى أضْغَانَهُنّ بَوَاكِراً ** كالنّخلِ من شَوْكَانَ حينَ صِرَامِ

وشوكان: قرية كبيرة لها أودية، كانت للأصبحيّين، تقع في أبين بالقرب من مدينة خنفر. (الهمداني، 1884، 97) وهناك موضوعان آخران في اليمن يطلق عليهما "شوكان": 1) قرية من ناحية ذمار. 2) قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم. هذا عن المواضع القديمة المشهورة، وإلا فإن هناك عددا من المواضع التي تسمى بهذا الاسم في العصر الحاضر في اليمن.

ورَيْدَانُ: حصن باليمن في مخلاف يحصب، يزعم القدماء أنّه لم يبن قطّ مثله، وفيه قال امرؤ القيس: (الحموي، 1995م 3/ 111)

وهينبة الذي زالتْ قُوَاهُ ** عَلَى رَيْدَانَ إذْ حَانَ الزَّوَالُ

تَمَكَّنَ قائمًا وبنى طِمِرًا ** عَلَى رَيْدَانَ أعْيَطَ لا يُنَالُ

وذكر "رُعَيْنٌ" في قوله: (الكندي، 473)

ودار بنى سَواسة في رُعَيْنٍ ** تجرُّ على جَوَانِبِها الشَّمَالُ

وهو مخلاف من مخاليف اليمن سمّي بالقبيلة، وهو قصر ذو رعين، واسمه يرين (بياعين مثناتين) بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير ابن الهميسع بن حمير. ورعين أيضًا: قصر عظيم باليمن، وقيل: جبل باليمن فيه حصن، وبه سمّي ذو رعين. (الحموي، 1995م 3/ 52)

ومر معنا ذكره لـ "دمون" و"عندل" وجبل "صيلع"، وبيّنا أنها مواضع في حضرموت، ما زالت قائمة بآثارها وأسمائها حتى اليوم.

- الأشياء:

يذكر امرؤ القيس في شعره أشياء تخص اليمن وتنسب إليه، مثل "السليط"، وهو اسم زيت، ما زال هذا اللفظ مستخدمًا في اليمن يسمَّى به "زيت السمسم"، يقول امرؤ القيس: (الكندي، 24)

يُضيءُ سَناهُ أو مَصابيحُ راهِبٍ ** أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ الْمُفَتَّلِ

السليط: هو زيت السمسم وهو عبارة عن الزيوت التي يتم استخلاصها من نبات السمسم. وفي المعاجم العربية القديمة أنه دهن الزيت عند أكثر العرب، وهو دهن السمسم عند أهل اليمن، وهما جميعًا يسميان سليطاً. (الحميري، 1999م 3167/5) وما هو متعارف عليه اليوم أن "السليط" هو زيت السمسم دون سواه من الزيوت. وما زال هذا اللفظ "السليط" متداولًا عندنا في كثير من مناطق اليمن، ويطلق على زيت السمسم.

تشتهر اليمن بنبات السدر، وهي تتكاثف وتطول وترتفع في السماء وتشكل حدائق، وعندما تستوي ثمارها، التي تُسمَّى "الدوم"، تختلف ألوانها، فيكون بعض الثمر أصفر، والآخر أسود، ومنها الذي ما يزال أخضر، وهكذا، فتشكل لوحة مزركشة، شبه الراحلين بذلك لما في هوادجهم من الألوان المختلفة، يقول: (الكندي، 57)

فَشَبَّهْتُهُم في الآلِ لمّا تَكَمَّشُوا ** حَدَائِقَ دَوْمٍ أوْ سفيناً مُقَيَّرَا

وذكر الحقة الحميرية، فقال: (الكندي، 59)

وَرِيحَ سَناً في حُقّةٍ حِمْيَرِيّةٍ ** تُخَصّ بمَفرُوكٍ منَ المِسكِ أذْفَرَا

والسنا: ضرب من الطيب، والحقة وعاء صغير له غطاء يُتخذ من الخشب أو العاج أو الزجاج. وخص الحقة الحميرية؛ لأن أكثر ملوك العرب من حمير فحقتهم تخص بأطيب الطيب.

ومن أدوات الكتابة التي كانوا اليمنيون القدماء يستخدمونها "العسيب"، قال: (الكندي، 85)

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرتُهُ فَشَجَانِي ** كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ

«والعسيب: جريد النخل، واحدته: عسيبة». (الحميري، 1999م 4529/7) وكان أهل اليمن يكتبون في جريد النخل.

وذكر خط الزبور في هذا البيت، وذكره في قوله: (الكندي، 89)

أتَتْ حِجَجٌ بَعدي عَليها فأصْبَحَتْ ** كَخَطِّ زَبُورٍ في مصَاحِفِ رُهبَانِ

وخط الزبور هو أحد خطوط المسند، أو هو الخط الثاني المستخدم في كتابة اللغة اليمنية القديمة، إلى جانب خط المسند الرسمي، وكانت كتابات الزبور مخصصة لموضوعات تخص الحياة اليومية والعملية للناس والمراسلات والمعاملات بينهم، لسهولة تبادلها بين الناس وحفظها في بيوتهم أو متاجرهم أو معابدهم وحملها من بلد لآخر؛ لأنها كانت تكتب على الأعواد والألواح الخشبية وجريد النخل.

وهذا يدل على أن امرأ القيس كانت له معرفة بخطوط اليمن القديمة وأدوات الكتابة فيها.

وذكر النجم اليماني المشهور، فقال: (الكندي، 333)

وصَبَّحْتُهم مَاء بفَيْفَاءِ قَفْرَةٍ ** وَقد حَلَّقِ النَّجمُ اليَمَانِيُّ فاسْتَوَى

النجم اليماني -ويسمى سهيلًا- نجم يطلع من جهة اليمن، ويرى من قبلها لمن هم في الحجاز أو شمال الجزيرة العربية؛ لذلك نُسب إليها. وهو عندهم سهيل اليماني.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أنه بالإضافة إلى أن انتماء امرؤ القيس إلى اليمن نسبًا؛ فهو كنديّ حميريّ، فإنه لم يقطع صلته بأصله، فزار أرض آبائه بحضرموت، ومكثَ فيها، وزار غيرها من أراضي اليمن بعد ذلك؛ ولهذا فإن اليمنيين كانوا يعرفونه ويحفظون شعره قبل الإسلام. يؤكد امرؤ القيس على يمنيته هذه في شعره، فقد تغنى بألقاب ملوك حِمْيَر، وحِمْيَر ذاتها، وتغنى ببطون كهلان وقبائل اليمن وأعرابها، وذكر عددًا من ملوك حمْيَر مفتخرًا بهم ومباهيًا بأمجادهم، ووصف شخصية اليمني وما أُشْتُهِرَ به، خاصة التجارة. أما الأرض فكان أكثر التصاقًا بها في شعره، فذكر مرابع آبائه ومراتع صباه في حضرموت في سياق الشوق والحنين، وذكر وديانًا وحصونًا ومدنًا ومخاليفَ يمنيةً قديمةً. ويمتد هذا الحضور اليمني في شعره إلى الأشياء اليمنية، أو المنسوبة إلى اليمن، فيذكر عددًا منها، ويربط الأشياء التي يذكرها باليمن وحمْيرَ تأكيدًا على هويته وهويتها.

قائمة المراجع:

1. الأندلسي، ابن سعيد. (د: ت). *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*. تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن. عمَّان: مكتبة الأقصى.
2. البكري، عبد الله بن عبد العزيز. (1403هـ). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. ط 3، بيروت: عالم الكتب.
3. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (1962م). *جمهرة أنساب العرب*. تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، مصر: دار المعارف.
4. حسين، طه. (1993م). *في الأدب الجاهلي*. ط3، القاهرة: مطبعة فاروق.
5. الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1995م). *معجم البلدان*. ط 2، بيروت: دار صادر.
6. الحميرى، نشوان بن سعيد. (1978م). *ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة*. تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، ط 2، بيروت: دار العودة.
7. الحميري، نشوان بن سعيد. (1999م) *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، ط 1، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.
8. الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت. (2002م). *تاريخ بغداد*. حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف. ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
9. الزَّوْزَني، حسين بن أحمد. (2002م). *شرح المعلقات السبع للزوزني*. ط 1، بيروت: دار احياء التراث العربي.
10. ابن سلاّم، القاسم بن عبد الله. (1964م). *غريب الحديث*. تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط 1، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

11. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور. (1962م). *الأنساب*. حققه وعلق عليه: أبو بكر محمد الهاشمي، ط 1، حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
12. الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. (1988م). *نسب معد واليمن الكبير*. تحقيق: الدكتور ناجي حسن، ط 1، القاهرة: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية.
13. الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث. (د: ت). *ديوان امرئ القيس*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف.
14. المعافري، عبد الملك بن هشام. (1347هـ). *التيجان في ملوك حمير*. ط 1، صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.
15. الميداني، أحمد بن محمد. (د: ت). *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة.
16. الهمداني، الحسن بن أحمد. (1884م). *صفة جزيرة العرب*. ليدن: مطبعة بريل.